

البحرين

في القرن السابع الميلادي

بقلم : د. حسين أمين - العراق

مع بدايات القرن السابع الميلادي كانت البحرين وهي الجزء الواضح من الوطن العربي الكبير ، تحت النفوذ الفارسي وكان حاكمها العربي المنذر بن ساوى التميمي ، وتتميز في هذه البلاد قبائل عبد القيس والأزد ووائل وتميم ، وكانت البلاد قد دخلتها اليهودية والنصرانية كما شاعت فيها ديانة الأوثان ، وان البحرين وهي الجزيرة المشهورة في منطقة الخليج العربي كانت من أنشط المراكز التجارية في هذه المنطقة ويشتغل أهلها في صناعة السفن وركوب البحر والزراعة والقيام بعملية التوريد والتصدير كمعمل أهلها وسطاء في تسهيل المعاملات التجارية العربية والعالمية ، ان هذا ان دل انما يدل على اصالة حضارية وتقدم اجتماعي .

الرسول (ص) وأعلنوا اسلامهم دون أية مشاكل ، وهذا دليل على تسامحهم ونضوج فكرهم وصفاء نفوسهم ونزعتهم للتخلص من حالة التخلف الديني والتردى الفكري ، وهذه مزايا قل أن نجدها في أية مجموعة واجهت الدعوة الاسلامية ، وقد تكون هذه

ومما لا شك فيه أن نشاط البحرين الديني والسياسي والاجتماعي ، كان واضحا منذ أن وصلها الصحابي الكريم العلاء الحضرمي حاملا رسالة خطية من الرسول الكريم (ص) يدعو أهل البحرين الى الاسلام ، وقد لبى أهل البحرين دعوة

المزايا تعبيرا للأصالة الحضارية التي ورثها شعب البحرين عبر تاريخهم الحضارى السحيق .

وبعد فترة قصيرة ، نظم أهل البحرين وفدا برئاسة عبد الله بن عوف الأشج ، وسار الوفد بانتظام حتى وصل المدينة واستقبلهم الرسول (ص) في مسجده الكريم ، وبقي الوفد مدة عشرة أيام في المدينة ، يلتقون بالرسول (ص) ويسألونه في أمور الدين والمبادئ الاسلامية واننى أرى أن في تكوين الوفد ومسيرته ووجوده في المدينة وملازمته للرسول ، تعبير آخر للتنظيم الاجتماعى للجماعة التى كانت تستوطن البحرين في تلك الفترة الزمنية ، كما أن مسألة الرسول في أمور الدين والتباحث معه (ص) دليل على اهتمام هذه الجماعة بالافكار الجديدة وبالمبادئ التى لم يعهدها من قبل وليتغرفوا عليها بشكل منتظم وليثبتتوا من تلك المبادئ ويستخلصوا منها الدروس المعبرة ارضاء لضميرهم وخدمة للجماعة الاسلامية ، وكان الرسول (ص) معجبا كل الاعجاب بوفد البحرين وبرئيس الوفد الذى قال فيه الرسول (ص) : فيك خصلتان يحبهما الله فقال عبد الله : ما هما يا رسول الله قال : الحلم والاثانة ، وكما احتفى الرسول الكريم بالوفد وخصه بعنايته ورعايته ، تفضل (ص) وأمر بتقديم جوائز للوفد تقديرا وتكريما لجهودهم واخلاصهم للدين الاسلامى .

وبعد وفاة الرسول (ص) ارتد من ارتد من أهل البحرين وانقسموا بين ملتزم وثابت على اسلامه ومرتد سرت اليه نغمة ، ان محمدا (ص) يجب أن لا يموت ، ووجه الخليفة أبو بكر (رض) جيشا بقيادة العلاء الحضرمى ، الذى يعرف البلد وأهله

ويعرف كل زاوية من زواياه كما يعرف مواطن قوته ونقاط ضعفه ، وبعد جهاد جهيد نجح العلاء الحضرمى في استعادة البحرين الى حظيرة الاسلام وعادت في هذه المرة قلعة حصينة للمسلمين ونقطة انطلاقهم للفتوح العظيمة .

ولعل من الجدير بالذكر أن العلاء الحضرمى كان أول من فكر ونفذ الانطلاق من البحرين الى فتح بلاد فارس ، حيث حشد الجموع وعهد بقيادة جموعه للجارود بن المعلى والسوار بن همام وخليد بن المنذر ، ولأول مرة في التاريخ الاسلامى يعبر جيش عربى اسلامى الخليج العربى منطلقا من قاعدته في البحرين وتدور معارك شديدة انتصر فيها المجاهدون المسلمون على الفرس في عقبة الطاووس ، ولكن الفرس بعد تلك المعركة تجمعوا وتمكنوا من قطع الطريق على المسلمين الى البصرة كما تمكنوا من اغراق العديد من سفنهم وبذلك وقع المسلمون في مأزق شديد ، فأمر الخليفة عمر (رض) بعزل العلاء الحضرمى لقيامه بهذا العمل دون اذنه على ما يبدو ، كما طلب الخليفة من القائد عتية بن غزوان نجدة المسلمين ، فارسل عتية جيشا بقيادة أبى سيرة بن أبى درهم ، والذى نجح في الوصول الى جيش خليل بن المنذر والانتصار على الفرس وانقاذ المسلمين والعودة الى البصرة بغنائم كثيرة .

ويحدثنا التاريخ أن العلاء الحضرمى بعد عزله توجه الى البصرة وقد مرض في هذه الأثناء وتوفى سنة ٢٥ هـ واصدر الخليفة عمر (رض) أمرا بتولية عثمان بن أبى العاص الثقفى على البحرين ويهنا من هذه الفترة أن البحرين كما قلت أصبحت نقطة انطلاق المسلمين للفتوحات العظيمة ، حيث انطلق المسلمون من البحرين لفتح اصطخر في بلاد فارس كما صار المسلمون يوجهون

أنظارهم نحو الهند حيث وصل بعضهم الى
القريب من بومباي ، كما وصلوا الى جزيرة
سيلان وفتحوها ، وفي عهد الخليفة عثمان
(رض) تمردت اصطخر مرة ثانية فارسل
الى البحرين جيشا انتصر به على الاعداء
وتمكن من فتح اصطخر والقضاء على
الجيش الفارسي في تلك المدينة .

هذه صورة لواقع البحرين الاستراتيجي
للانطلاقة الاسلامية وأهميتها في نشر الدعوة
الجديدة . ومما لا شك فيه كما يبدو لي أن
القرن السابع الميلادي هو الفترة التاريخية
المتميزة للبحرين والتي تعتبر من أهم
مراحلها عبر العصور والأجيال ذلك أن
البحرين في هذه الفترة أي القرن السابع
الميلادي تحولت من موقع الحماية
والاستحواذ الأجنبي الى التحرر والانعتاق
وأصبحت مركزا مهما من مراكز الانطلاق
للفتح وانصهرت انصهارا مثاليا لأنها
واكبت وساهمت وتأثرت بعملية انتشار
الاسلام وبحالة الردة بعد وفاة الرسول
وحركة الفتوح العظيمة وبالثورات والفتن
وينشاط الخوارج والحركات السياسية التي
ظهرت في العالم الاسلامي .

ولعل أكثر الحركات اثرا في البحرين في
القرن السابع الميلادي والذي نحن في
صدده هي حركة الخوارج التي ظهرت اثر
معركة صفين ، والخوارج هم الذين يقولون
باختيار الخلفاء من الذين ترتضيهم
الجماعة الاسلامية دون النظر الى الطبقة
التي ينتمون اليها وهم الذين طرحوا شعار
(لا حكم الا لله) . ولعل من أشهر رجال
الخوارج الذين كان لهم دورهم التاريخي في
منطقة البحرين في القرن السابع الميلادي هو
نجدة بن عامر الحروري الحنفي ٣٦ -
٦٩ هـ « ٦٥٦ - ٦٨٨ م » وهو من بنى
حنيفة ، من بكر بن وائل وهو مؤسس ومنظم
فرقة الخوارج المعروفة بالفرقة النجدية ،

وكان أول امره مع زعيم الخوارج نافع بن
الأزرق المتوفى سنة ٦٥ هـ - ٦٨٥ م وكان
هذا من الموالين للأمام على بن أبي طالب
(رض) ومن المشاركين في جيشه في معركة
صفين وهو من بين الذين اجتمعوا في
(حروراء) وهي قرية في ظاهر الكوفة ونادوا
بالخروج على علي (رض) وعرفوا ومن
تبعهم بالخوارج وهو رأس الفرقة المعروفة
بالأزارقة ، وتعتبر هذه الفرقة من فرق غلاة
الخوارج .

ويذكر ابن الاثير ان نجدة بن عامر دخل
البحرين سنة ٦٧ هـ ٦٨٦ م فقالت الازد :
نجدة أحب إلينا من ولاتنا ، لأنه ينكر
الجور ، وولاتنا يجوزونه فعزموا على
مسالمته واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين
غير الازد على محاربته ، فقال بعض الازد :
نجدة اقرب اليكم منه إلينا لأنكم كلكم من
ربيعة فلا تحاربوه ، وقال بعضهم : لا ندع
نجدة وهو حروري مارق تجرى علينا
احكامه ، فالتقوا بالقطيف ، فانهزمت عبد
القيس وقتل منهم جمع كثير واقام نجدة
بالقطيف ووجه ابنه المطرح في جمع
المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير
(واد باليمامة) فقتل المطرح ابن نجدة
وجماعة من أصحابه ، وعندئذ أرسل نجدة
بن عامر سرية الى الخط (موضع في
البحرين) فظفر بأهله ، واقام نجدة بن
عامر بالبحرين .

واتخذ نجدة البحرين مقرا له ولجيشه
واتخذها قاعدة لنشاطه السياسي
والعسكري ولما قدم مصعب بن الزبير الى
البصرة سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م وجه اليه جيشا
يقوده عبد الله بن عمير الليثي في أربعة عشر
الفا ، وأرسل الى نجدة يهدده ويتوعده ، فلما
قدم ذلك الجيش كان نجدة في منطقة
القطيف ، وهنا تظهر كفاءة نجدة العسكرية
وقدرته التعبوية ، فهاجم نجدة جيش عبد

الله بن عمير وأوقع فيهم الكثير من القتل وشتت شملهم وانهزموا خائبين ، وبعد نجاحه هذا وجه نجدة بن عمير جيشا الى عمان واستعمل عليهم عطية بن الأسود الحنفى ونجح عطية فى الاستيلاء على عمان . وبعث نجدة بعد هذه الانتصارات الى البوادرى من يأخذ من أهلها الصدقة ، وقاتل أصحابه بنى تميم بكاظمة (موقع على بعد مرحلتين من البصرة) ولما حاول أهل طويلع (واد فى طريق البصرة الى اليمامة وأهله من تميم) مساعدة بنى تميم اغار نجدة على طويلع وقتل منهم نيفا وثلاثين رجلا وسبى عددا ، ثم انه دعاهم بعد ذلك فأجابوه فأخذ منهم الصدقة ، ثم سار نجدة بعد هذا الى صنعاء فى خوف من الجيش فبايعه أهلها وظنوا أن وراءه جيشا كبيرا ، وبعث الى مخاليفها فأخذ منهم الصدقة ، كما بعث أبا فديك الى حضرموت فجبى صدقات أهلها ، وحج نجدة سنة ٦٨ هـ وقبل سنة ٦٩ وهو فى ثمانمائة وستين رجلا وقيل فى ألفين وستمائة رجل ، وصالح ابن الزبير على أن يصل كل واحد بأصحابه ويوقف بهم ويكف بعضهم عن بعض ولما عزم زيارة المدينة المنورة تأهب أهلها لقتاله وتقلد عبد الله بن عمر سيفا ، ولما كان بنخل أخبر بلبس عبد الله بن عمر السلاح فرجع الى الطائف ، ولما سار نجدة من الطائف اتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف : وعاد نجدة الى البحرين فقطع الميرة عن أهل مكة والمدينة وعن اليمامة فكتب اليه ابن عباس أن ثامة بن اثال لما أسلم قطع الميرة عن أهل مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله (ص) ان أهل مكة أهل الله ، فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم ، وانك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ، ولم يزل عمال نجدة على النواحي حتى اختلف عليه

أصحابه وكان نتيجة ذلك الاختلاف مقتل نجدة سنة ٦٩ هـ - ٦٨٨ م .
من هذا العرض يتبين لنا أهمية البحرين فى هذه الفترة المضطربة فى حوادثها وأخبارها وتنازع المطالبين وتنافسهم على السلطة والنفوذ ، كما تظهر نشاط وشجاعة هذا الخارجى المتحمس والذى سيطر فى فترة وجيزة من سنة ٦٧ - ٦٩ على البحرين واليمامة واليمن وحضرموت وعمان ووصلت جيوشه الى محاذاة البصرة ، ان المتأمل فى التاريخ الاسلامى لا بد وان يتتبع هذا الاندفاع ويتأمل هذه الانتصارات السريعة ، وان يتعرف على أسبابها ومقوماتها وليس عندى من شك أن مركز الاندفاع ونقطة الانطلاق التى هى البحرين كانت هى المعين الذى يمد هذا المقاتل الخارجى بالميرة والمؤونة والذخيرة وبالرجال واذا ما تتبعنا الخوارج فى نشاطهم وحركاتهم لم نجد من زعيم غير هذا اتسعت دائرة نشاطه بهذا الاتساع وهذا الانطلاق ، اعود وأقول أن الموطن الحضارى هو أبدا يكون العامل المساعد فى انجاح الكثير من الأفكار والمبادئ وهو الذى يمنح القادة والطموحين كل أسباب الدعم والنصر .
واننى لأعتقد أن دخول نجدة بن عامر الى عمان له اثره الكبير فى وضع الأسس الأولى لمبادئ الخوارج فى تلك البقعة من الوطن العربى ، وأرجو أن تتاح الفرصة لاحد الباحثين العرب لتقصى وتتبع هذه النقطة من تاريخنا الاسلامى ، وجدير بالاشارة هنا أن بعض المؤرخين يعتقد أن نسبة الأباضية الى (اباض) بضم الهمزة وهى قرية بعرض اليمامة بها كانت وقعة خالد بن الوليد بمسيلمة ، وكان قد نزل بها نجدة بن عامر الحرورى ، وقد يكون دخول نجدة بن عامر الى عمان هو الأساس فى نشر مفاهيم وافكار الخوارج

والتي تميزت باسم الاباضية وقد تكشف عنها جهود الباحثين والمتخصصين في هذا المجال ، وما من شك أن البحرين كانت هي نقطة الانطلاق ومركزا لدفع ، لاعتبارات استراتيجية وعوامل حضارية ، لا بد وأن تؤخذ بنظر الاعتبار عند دراسة هذا الموضوع .

تولى أمر البحرين ولاية من الصحابة والتابعين في القرن السابع الميلادي وكان أول أولئك الولاة هو العلاء الحضرمي والذي ولاه الرسول (ص) على البحرين سنة ٨ هـ ، وجعل له جباية الصدقة من أغنياء البحرين وتوزيعها على فقرائها ، وبعد وفاة الرسول (ص) اقره الخليفة أبوبكر ، ثم عزله عن الولاية وعين بدلا عنه قدامة بن مضعون ، ثم عزل قدامة واعاد العلاء الحضرمي ، لقتال المرتدين من أهل البحرين ، وتوفي العلاء الحضرمي وتولى من بعده أمر البحرين عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي واستمر هذا الى أن ولي الخليفة عمر مكانه أبا هريرة (عبد الرحمن بن صخر) وعزله عمر (رض) عن ولاية البحرين وأقام فيها عثمان بن أبي العاص ثانية ، وتولى أمر البحرين بعده الربيع ابن زياد الحارثي المتوفى سنة ٥٣ هـ ٦٧٢ م وكان من القادة الشجعان والموصوفين بالتواضع والتقوى ، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان أصبحت البحرين من ضمن إمارة زياد بن أبيه الذي كان واليا على البصرة وجمع له خراسان وسجستان والسند والبحرين وعمان .

وبرز في البحرين علماء وأدباء وشعراء ولعل من أشهر من ذكرهم التاريخ صمصمة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدى المتوفى سنة ٦٠ هـ ٦٨٠ م وكان من الخطباء البلغاء وكان شهد صفين مع الامام

على (رض) ونفاه المغيرة بن شعبة من الكوفة الى أوال في البحرين بأمر من معاوية ، وبقي في البحرين الى أن توفي . وقثم بن خبية العبدى المشهور بالصلتان العبدى المتوفى سنة ٨٠ هـ ٧٠٠ م وهو من عبد القيس وكان شاعرا حكيما ، وقد نتمس بلاغة القوم ونضوجهم الفكري من الكلمات والخطب التي كانوا يقولونها عند لقاءهم الرسول (ص) في المدينة ، أوفى ما يرددونه شعرا في سوح المعارك ، فهذا يدل بوضوح على أصالة القوم الحضارية ونضوجهم الفكري والثقافي .

ان البحرين في القرن السابع الميلادي فترة مهمة من فترات تاريخنا الاسلامي ، حيث برزت هذه البقعة العربية بشكل يبعث على الفخر والاعجاب ، وبما جبلت عليه من مكانة جغرافية وأصالة حضارية كان دورها عظيما في تلبية دعوة الرسول محمد (ص) وفي نشر تلك المبادئ الاسلامية السامية بأمانة واخلاص ، وكان أثرها واضحا ونشيطا في حركة الفتوح الاسلامية وفي الدفاع عن تلك المبادئ ، ولما كانت البحرين على اتصال وثيق مع مراكز الحضارة العربية وبخاصة منطقة العراق فان صدق حركات الفكر والمعارضة كانت تجد مكانا خصبا في هذه المنطقة ذات التراث التاريخي الأصيل ، كما ادت البحرين في هذا القرن دورها الكبير في فهم ونقل وتطوير الدراسات الاسلامية ، كما وبرز هنا عدد من الأدباء والعلماء الذين كانوا اللبنة العربية الاسلامية الاولى في ازدهار الأدب والعلم في هذا القطر العربي الذي هو بحق مهد الحضارة الانسانية ومبعث فكرها وأساطيرها وهو بحق أرض الخلود وملقى الحضارات ولؤلؤة الخليج العربي .